

القيم الحضارية في الإسلام وضرورة تجديد الوعي الدعوي الحضاري

د. عبد العزيز برغوث

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

ملخص البحث..

يتناول البحث بالتحليل مسألة القيم الحضارية في الإسلامي وضرورتها لتشكيل الوعي الدعوي الحضاري الذي يعد أساس أي إصلاح متكامل في واقع الأمة وتفعيل لقدراتها على الأداء الحضاري المتوازن. والبحث يطرح مفهوم الوعي الدعوي الحضاري بوصفه مدخلا مهما لحل بعض المشكلات المتعلقة بقدرات الحركات الدعوية على تجسيد قيم الإسلامي الحضاري في الواقع البشري المعاصر الذي يتصف بالعلومة والعلمية والعلمية وغيرها. ويتبع البحث المنهج الاستقرائي ومنهج تحليل النصوص لمعالجة الإشكالية المطروحة. وخلص البحث إلى أن الوعي الدعوي الحضاري المطلوب هو ذلك الوعي الذي يتصور الدعوة الإسلامية كمشروع رسالي استخلافي ينبغي أن تجسد قيمه واقعا على مستوى حضارة. والوعي الدعوي الحضاري الإسلامي المعاصر ينبغي أن يهدف إلى تخريج وتشكيل إنسان ومجتمع وثقافة الحضارة الاستخلافية، ومن هنا ينبغي إعادة النظر في الوعي الدعوي القائم، وربطه أكثر بالمشروع الحضاري الاستخلافي الشامل للأمة. فمضمون الوعي الدعوي الإسلامي ينبغي أن تنعكس فيه القيم الحضارية الكبرى للإسلام والتي تتضمنها خصائص الإسلام مثل الربانية والعلمية والتخفيف والرحمة والعلمية. إذ يتوجب الأمر أن يتمكن الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي من رفد الإنسان ومده بالقيم اللازمة لتحضره عقليا وفكريا ومعنويا وماديا ومدنيا وعمرانيا واجتماعيا وتنظيميا وغيرها من معاني الوعي الحضاري. ومن هنا ينبغي لنا أن نوجه كافة المؤسسات والطاقات والإمكانات التي تتوافر عليها مجتمعاتنا الإسلامية توجيهها يفضي بها إلى المساهمة في إعادة تشكيل الحضارة الإسلامية المتوازنة. إذ ينبغي لنا أن

ننظر إلى الدعوة كوسيلة ضرورية لاستنهاض كل الطاقات البشرية والمادية والفكرية باتجاه البناء والتنمية الحضارية الشاملة. وهنا يأتي دور الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي المعاصر في استثمار هذه الطاقات لخدمة المشروع الحضاري للأمة.

المقدمة..

تواجه الدعوة الإسلامية المعاصرة تحديات كبيرة ومعقدة للغاية. فالدعوة الإسلامية تقف اليوم في عمق التدافع الحضاري العالمي الذي تشهده البشرية والحضارة الإنسانية في مختلف المجالات. والحضارة البشرية اليوم تضع أمام كل الثقافات، والأقوام، والشعوب أسئلة وإشكالات إنسانية ذات تأثير عالمي حضاري عام. والمشكلات الإنسانية والحضارية المعاصرة أصبحت بحكم منطق العالمية المعاصرة، والعولمة الجديدة جزءاً لا يتجزأ من واقع معظم -إن لم نقل كل- المجتمعات الإنسانية الحالية. ومنطق الواقع الحضاري العالمي المعاصر يفرض على المجتمعات الإنسانية -في كثير من الأحيان- أوضاعاً، وتوجهات، وتوجيهات خارجة عن إرادتها أو تخطيطها، ولكنها تأتي من قبيل تلك الضرورة الحضارية الملحة التي تدفع بالمجتمعات المعاصرة للدخول في عالم وواقع العالمية والعولمة ملزمة غير مختارة في كثير من الأحيان.

ولقد أصبح من المتعذر للمجتمعات أن تعزل نفسها أو تسحب مواقعها من معترك الأحداث بل على العكس هناك منطق حضاري عالمي غلاب يفرض على المجتمعات سياسية الإقحام في الأحداث بإرادة أو بدونها. فتشابه العلاقات الإنسانية، وتقلص فجوة الحدود الجغرافية، وتنامي مجالات الاتصال والتفاعل الإنساني، وقيام المعاهدات الاقتصادية والتجارية العالمية، وتطور التقنية والتكنولوجية، وانتقال المال والأشخاص والعمالة والسلع والخدمات فيما بين مختلف أصقاع المعمورة، وظهور ما يُعرف بمجتمعات المعرفة، واقتصاديات المعرفة، والتجارة الإلكترونية، والحكومات الإلكترونية، واستحكام منطق التسابق على التسليح التكنو-إلكتروني، وقيام فلسفة نهاية التاريخ، ونهاية الإنسان، ونهاية الدولة، ونهاية المعنى، وتحول معظم أجزاء العالم المتطور والسائر في طريق التطور إلى نوع من الاجتماع الحضاري المعقد والحساس جداً، وانتشار الأوبئة، والفقر والحروب والبطالة والأمراض وسوء التغذية، وتفشي الأمية والجهل لدى قطاع

كبير من البشرية المعاصرة، وتفكك البناء القيمي والأخلاقي لكثير من المجتمعات، وظهور المشكلات العالمية المعقدة مثل: مشكلة التلوث والبيئة والسكان وارتفاع حرارة الكرة الأرضية، ومنطقة الأوزون، وغزو الفضاء، والتسلح النووي والبيولوجي والكيميائي والذري، والاستنساخ البشري، والهندسة الجينية وغيرها... فكل هذه المشكلات وغيرها كثير يضع أمام الإنسان المعاصر تحديات خطيرة ومعقدة للغاية.

وانطلاقاً من حقيقة كون الإسلام ودعوته دعوة إنسانية عالمية حضارية إنقاذية تعنى بخير البشرية، وتهتم بمعالجة المشكلات الإنسانية؛ فإن حركة الدعوة الإسلامية المعاصرة توضع في عمق الأحداث، والتحديات⁽¹⁾ الإنسانية العالمية المعاصرة. فلم يعد الحديث النظري المطول، والحديث الخيالي الحالم، والخطاب العاطفي الوعظي البسيط بمجدي في تقديم الدعوة الإسلامية بمعانيها الحضارية كعلاج شافي لأسقام البشرية التي ذكرنا نتقا منها فيما مر من الحديث. "ولعل المؤسف حقاً، هو أن يظل المسلمون يجهلون أو يتجاهلون الحقائق السابقة، فلا يدرسون ميدان الدعوة، ولا يدركون المؤثرات السلبية والإيجابية فيه، ولا يجددون وسائلهم وأساليبهم، ومناهج عملهم، ويصرون على مواجهة النظام بالفوضى، والتخطيط بالارتجال، والإعداد بالعفوية، والحركة بالسكون، والعلم بالجهل، والمكر بالغفلة، والعقلانية بالعواطف بحجة البساطة، ومخالفة الكافرين، والتوكل على الله وتفويض الأمر له⁽²⁾. فهذا الوضع لم يعد يساعد الحركة الدعوية الإسلامية ذات الأفق الحضاري على مواكبة التحولات العالمية المعاصرة.

والواقع العالمي المعاصر يفرض على حركة الدعوة أن ترتفع إلى مستوى الأحداث الإنسانية، وتتأهل لتقديم البدائل الحضارية العالمية القادرة على إبلاغ قيم الإسلام، وتشريعاته، ومناهجه، وحلوله إلى الضمير العالمي المعاصر الذي يتخبط في كثير من المشكلات. فإذا كان هذا هو الوضع، وهذا هو المطلوب من الدعوة التي تحمل قيم الإسلام العالمية، فإن الملاحظ على قطاعات كثيرة من الحركة الإسلامية، والحركة الدعوية،

¹ - عبد الله بن عبد المحسن التركي، مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة، نموذج المملكة العربية السعودية، سلسلة الكتاب الإسلامي، (الرياض: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، 1416هـ، ط1)، ص 70 وما بعدها.

² - الطيب برغوث، الدعوة الإسلامية والمعادلة الاجتماعية، سلسلة مفاتيح الدعوة، الطبعة الأولى، (الجزائر: دار البعث، 1985)، 29.

والممارسة الإسلامية القائمة أنها ما زالت بعيدة في خطابها، ومضمونها، ومناهجها، وأساليبها، ومشاريعها، واستراتيجياتها، وخططها، وبرامجها عن التصدي للتحديات والمشكلات العالمية الكبرى التي تواجه الأمة والإنسانية جميعا.

إن الفرضية الأساسية التي ينطلق منها هذا البحث هي أن الوعي الدعوي الإسلامي القائم ما يزال في مجمله -إلا في القليل- يدور حول موضوعات وقضايا جزئية هامشية لا ترتقي إلى استيعاب حركة العالم المعاصر، ومنطق الحضارة العالمية القائمة، وبالتالي فإن هذا الوعي في كثير من رؤاه، ومناهجه، وأطروحاته، ومشاريعه ما زال بعيدا عن مراكز صناعة الفعل الحضاري الإسلامي⁽³⁾ الممكن في الأرض، والمُجسد لقيم الإسلام الحضارية وبدائله العالمية الموضوعية والتي تسعى دوما لخير البشرية.

إن الوعي الدعوي الإسلامي المعاصر -في كثير من جوانبه- ما زالت تستهلكه شواغل من القرن الماضي، وشواغل من همومه، وتطوراته، وتدفعاته القديمة، وظروفه التي نشأ فيها من سنوات متطاولة. فهو وعي ما زال في كثير من جوانبه متخلف عن خصائص، ومتطلبات اللحظة العالمية الحضارية الراهنة والتي تضع أمام البشرية وحضارتها أكبر علامات الاستفهام ذات الطابع والأثر العالمي الشامل. "ونرى أنه لم يعد للمسلم اليوم خيار في أن يخرج من دائرة الطواف حول ذاته، والافتتان بالنفس، والعجب بالرأي، والاقتصار على قراءة ذاته، إلى الاطلاع على وجهات النظر الأخرى."⁽⁴⁾

والوعي الدعوي القائم لدى الكثير من قطاعات الحركة الإسلامية السياسية منها والدعوية والتربوية والاجتماعية المعاصرة، وفلول الوعي الإسلامي عموما يعيش تناقضا منهجيا وواقعا خطيرا جدا وهو أنه من جهة يتحدث باسم الإسلام، ودعوته المتميزة بأعظم الخصائص المفضية نظريا إلى تشكيل بناء حضاري عالمي إسلامي متوازن، ومن جهة أخرى ما زال هذا الخطاب يعيش في أسر قضايا جزئية بعيدا عن حاجات العصر

³ - يقول أحمد سلام: "إن أعظم ما أصيب به المسلمون على مر تاريخهم إضاعة الرؤية المنهجية للبناء الحضاري، مما أوقعهم في شبك الرؤية التجزئية، وغموض معالم المنهج، وتداخل أدواره، واشتباہ الأسباب بالنتائج، وبالتالي ضياع الفعالية" في منهجية الدعوة الإسلامية المعاصرة، (بيروت: دار ابن حزم، 1991م، ط2)، ص 52.

⁴ - نقلا عن مقدمة عمر عبيد حسنة، فقه الدعوة: ملامح وآفاق، سلسلة كتاب الأمة، الطبعة الأولى، العدد: 18، (قطر: رئاسة المحاكم الشرعية، 1408هـ)، 9.

العالمي الصارمة، وبعيدا عن مراكز الحيوية الحضارية. فنظريا يحمل الوعي الدعوي الإسلامي المعاصر -في كثير من جوانبه ولدى الكثير من ممثليه- خطابا ومشروعا نظريا طموحا وعالميا وحضاريا وإنسانيا، ولكن عمليا يعيش في كثير من الحالات مأزق الاستلاب، والفوضى، والجزئية، والتراوح المزمّن في نفس المصطلحات والطرائق والأساليب المتكررة والمألوفة والتي لا تستطيع الإستجابة الفعالة والأصيلة للتحديات الفعلية القائمة.

من هذا المنطلق يحاول هذا البحث الإسهام في معالجة هذه الإشكالية الخطيرة في الوعي الدعوي⁽⁵⁾، وذلك بطرح مفهوم إضافي للوعي الدعوي يخرج من معاقله وقلاعه الحصينة التي أبقت مأسورا لمنطق لم يعد -في كثير من جوانبه- مؤهلا لتحقيق الإنجاز الحضاري المطلوب للأمة الإسلامية في عصر العالمية والعلمية الصارمة. فالبحث يطرح مفهوم "الوعي الدعوي الحضاري" كمدخل لمعالجة المشكلة، ويحاول إعادة النظر في تعريف بعض خصائص الدعوة الإسلامية المهمة وربطها بمسألة الوعي الدعوي الحضاري المنشود. وذلك بمحاولة تحليل أثر وأهمية هذه الخصائص في تشكيل الوعي الدعوي الحضاري المعاصر. والبحث لا يزعم أبدا أنه يقدم العلاج لمشكلات الدعوة، أو لمشكلات الحضارة المعاصرة، ولكن أقصى ما يطمح إليه البحث هو الإسهام في إيجاد مداخل جديدة ومنهجية لإعادة النظر في تجديد حيوية الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي الأصل، وتفعيله من جديد لينخرط في عملية البناء الحضاري الإسلامي المعاصر، وذلك بإدخال مسألة المنظور الحضاري الشمولي في تحليل قضايا الدعوة.

وقد تناول البحث بالتحليل النقاط الآتية:

أولا: محاولة لتحديد مفهوم الوعي الدعوي الحضاري

ثانيا: المعارف والخبرات اللازمة لتشكيل الوعي الدعوي الحضاري

ثالثا: خصائص الدعوة وأهميتها في تشكيل الوعي الدعوي الحضاري.

⁵ - انظر: عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي (دمشق: دار القلم، 1999م، ط1)، ص 13 وما بعدها.

أولاً: محاولة لتحديد مفهوم الوعي الدعوي⁽⁶⁾ الحضاري

لا شك في أن مسألة الدعوة إلى الإسلام من أهم وأعظم المسائل التي تدور حولها الحياة الإسلامية بصورة عامة والوعي الدعوي بصورة خاصة. والدعوة إلى الإسلام تشكل المحور المركزي الذي تدور حوله فلسفة الأمة الوسط التي أخرجها الله للناس لتكون أمة الخيرية الملتزمة بالوظيفة الحضارية الكبرى للأنبياء والرسل والدعاة والربانيين والعلماء والراسخين في العلم. قال الله سبحانه وتعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تؤمنون بالمعروف وتتهون عن المنكر وتؤمنون بالله} (آل عمران: 110). والمسألة الدعوية إذن مسألة محورية مرتبطة أصلاً بالوجود الفعلي للأمة الإسلامية؛ ومن ثم فإن تشكيل الوعي الدعوي الناضج، والعميق، والمستوعب للخطاب الإسلامي، وللمضمون الإسلامي المراد تبليغه للناس لازمة ضرورية وأساسية في تحقيق شروط الأمانة الكبرى التي أنيطت بالإنسان بوصفه خليفة مكلفاً بأداء مسؤولية العبادة والاعمار والإنقاذ والتعارف.⁽⁷⁾

والوعي والإدراك العميق للدعوة، ومضمونها وخصائصها ومشروعها ومنهجها⁽⁸⁾ وفلسفتها وأهدافها⁽⁹⁾ ومشاريعها ونشاطاتها وخطواتها وآلياتها ووسائلها وأساليبها، وامتلاك القدرات اللازمة لفهم الإسلام، وفهم الواقع⁽¹⁰⁾، وفهم مشكلات الدعوة ومعالجتها، وبناء الخبرة والمعرفة والملكة الدعوية لدى الأفراد والجماعات، وتحقيق الأداء المنهجي

⁶ - يعرف هذا المفهوم لدى بعض الدوائر الدعوية والفكرية الإسلامية "بفقه الدعوة". انظر على سبيل المثال اتجاه "سلسلة كتاب الأمة" الصادر عن مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر. راجع كتاب: فقه الدعوة: ملامح وآفاق، منشورات سلسلة كتاب الأمة، حوار مع مجموعة من العلماء والدعاة، الجزء الأول، العدد: 18، الطبعة الأولى، 1408هـ.

⁷ - انظر: عبد العزيز برغوث، المنهج النبوي والتغيير الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، الرقم: 43، الطبعة الأولى، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1995).

⁸ - راجع: عبد العزيز برغوث، مناهج الدعوة: طبعة منقحة ومزودة، الطبعة الثالثة، (كوالامبور: الشروق، 2001).

⁹ - أحمد عبد العزيز القطان وجاسم بن محمد بن مهلهل، الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، الطبعة الثالثة، (مصر: دار الوفاء، 1992)، ص 69 وما بعدها.

¹⁰ - انظر: أحمد سلام، في منهجية الدعوة، مرجع سابق، ص 47

المتوازن⁽¹¹⁾، وصياغة الخطاب الإسلامي الأصيل والواقعي، والوصول إلى الإنجازات الدعوية على مستوى الأشخاص والمعارف والمؤسسات، ومعالجة مشكلات الناس هو التعبير المحس والواقعي للنضج اللازم في "الوعي الدعوي". وقبل تحديد مفهوم "الوعي الدعوي الحضاري" سنحاول التعرّيج على الدلالات اللغوية والاصطلاحية لكل من لفظة "الوعي" و"الدعوة" و"الحضارة".

أ- مفهوم "الوعي"

لفظة "الوعي" ترد في قواميس اللغة بمعنى: ("وعى يعي وعياً) الرجل الشيء كالكلام أو الوعظ حفظه في ذهنه أو في نفسه؛ فالرجل واع والشيء موعى. ووعى الرجل متاعه في كيس أو وعاء وضعه فيه وحفظه. ووعى الرجل الدرس حفظه وفهمه. وفي الحديث الشريف: (نظر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فرب مبلغ أوعى من سامع) وفي حديث أبي أمامة (لا يعذب الله قلباً وعى القرآن) أي حفظه وعقله إيماناً به وعملاً...الوعي هو الحفظ والاستيعاب مع الفهم. والوعي بمعنى الشعور وسلامة الإدراك، استعمال حديث، ومنه قولهم: العقل الواعي، والوعي واللاوعي⁽¹²⁾. وقال ابن منظور في لسان العرب: "وعب: الوعب: إيعابك الشيء في الشيء، كأنه يأتي عليه كله...واستوعب المكان والوعاء الشيء: وسعه، منه. والإيعاب والاستيعاب: الاستئصال، والاستقصاء في كل شيء".⁽¹³⁾ ويقال كذلك: "وعى العظم-يعي) وعياً: برأ على اعوجاج...والحديث حفظه وفهمه وقبله. و-الأمر: أدركه على حقيقته. (أوعى) الشيء: وعاه وحفظه... (استوعى) الشيء: أخذه كله..(الواعية) وصف للمؤنث. ويقال: أذن واعية: حافظة... (الوعي): الحفظ والتقدير. و-الفهم وسلامة الإدراك. وفي علم النفس: شعور

¹¹ - الطيب برغوث، التغيير الحضاري وضرورة المنهج، منشورات مركز الفكر الحضاري التربوي، الطبعة الأولى، (كوالالمبور: الشروق، 1999م)، ص 30 وما بعدها.

¹² - حسن سعيد الكرعي، الهادي إلى لغة العرب: قاموس عربي-عربي، الطبعة الأولى، (بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، 1992)، 512.

¹³ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، (بيروت: دار صادر، بدون تاريخ)، ص 789.

الكائن بما في نفسه وما يحيط به... (والوعي) - بكسر العين - الفقيه الحافظ الكيس. (14) وقد وردت لفظة في القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى: {لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية} (الحاقة: 12). يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الأولى: "وتعيها أذن واعية: أي وتفهم هذه النعمة وذكرها أذن واعية. قال ابن عباس: حافظة سامعة، وقال قتادة: (أذن واعية) عقلت عن الله فانفتحت بما سمعت من كتاب الله. وقال الضحاك: (وتعيها أذن واعية) سمعتها أذن ووعت، أي من له سمع صحيح وعقل رجيح، وهذا عام في كل من فهم ووعى." (15) ويقال كذلك: "الوعي: الإدراك المركز. والوعي: حفظ الحديث ونحوه، ويقال: وعيته في نفسه.. ولا وعي عن كذا، أي لا تماسك للنفس دونه." (16) ففهوم الوعي إذن يدور حول الفهم، والإدراك، والاستيعاب (17) والحفظ، والشعور العميق لما في ذات الإنسان، وما يحيط به في واقعه الواسع من أمور.

ب- مفهوم "الدعوة"

وأما فيما يتعلق بمفهوم لفظة "الدعوة" فإننا نجد تعاريف واستخدامات كثيرة ومتنوعة للغاية (18) منها: الابتهاال، والسؤال، والطلب، والرغبة، والمناداة، والصياح،

14 - إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، الجزء الأول، (استانبول: دار الدعوة، بدون تاريخ)، ص ص 1044-1045.

15 - الحافظ عماد الدين ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة السابعة، المجلد الثالث، (بيروت: دار القرآن الكريم، 1981)، ص 542.

16 - سميح عاطف الزين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: مجمع البيان الحديث، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1984)، ص 933.

17 - لمزيد من التوضيح حول مفهوم الاستيعاب في ميدان الدعوة انظر: فتحي يكن، الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، الطبعة 11، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992)، ص 19 وما بعدها.

18 - للتفاصيل انظر: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الغيومى، المصباح المنير، ج1، (مصر: طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بدون تاريخ)، ص 208؛ جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (538)، أساس البلاغة، بدون مكان للطبع، 1979م، ج1، ص 189؛ جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (538)، أساس البلاغة، تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، دون تاريخ)، ص 31؛ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، (بيروت: طبعة دائرة المعاجم مكتبة لبنان، 1986)، ص 86؛ أبو الحسين أحمد بن زكريا ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الفكر، 1979م)، ص 293؛ سميح عاطف الزين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: مجمع البيان الحديث، الطبعة الثانية، (بيروت:

والاعتزاز، والتسمية، والصوارف، والاستحضار، والإخبار، والدعاء، والاجتماع، والجمع، والحث، والميل، والاستعانة، والسوق إليه، والرجاء، ونسبته إليه والشهادة، والاستدعاء، والتألب، والتناصر، والأذان، والإمالة. وفي مواضع أخرى تأتي لفظة "الدعوة" بمعنى: جرك إليه وأضطرك، والتمني، وأنزله به، والجعل، والزعم حقا كان أو باطلا، والافتعال للأمر، والحلف، وتكسر وأذن بالانهدام، والإقبال من كل جانب، والإجابة وغيرها من المعاني الكثيرة الأخرى.

وإذا كان القاموس الدلالي اللغوي للفظ "دعوة" غني وفسيح وممتد المعاني فإن كلمة "الدعوة" كذلك لقت اهتماما كبيرا من قبل المتخصصين والباحثين المهتمين بالدراسات الدعوية. وكثرة تلك التعاريف فإننا سنكتفي بإيراد بعض التعاريف التي تخدم البحث الحالي تاركين غيرها إلى حينه. فهناك من عرف الدعوة على أنها "الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحيا على رسول الله ﷺ، وحفظها القرآن الكريم والسنة النبوية".⁽¹⁹⁾ وهناك من عرفها على أنها "برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين".⁽²⁰⁾ وذهب باحث آخر إلى القول بأن الدعوة هي في حقيقتها "ذلك الجهد المنهجي المنظم، الهادف إلى: تعريف الناس بحقيقة الإسلام. وإحداث تغيير جذري شامل متوازن في حياتهم على طريق الوفاء بواجبات الاستخلاف، ابتغاء مرضاة الله تعالى، والفوز بما ادخره لعباده الصالحين في عالم الآخر. وينبغي أن نؤكد هنا ملاحظة مهمة جدا هي: أن الدعوة التي نعنيها هنا، ويدور حولها مجمل البحث، تشمل كما هو واضح في التعريف أمرين أساسيين هما وجهان لحقيقة واحدة: - الدعوة كمضمون رسالي، أي كدين يُبلغ ويُلتزم. - والدعوة كعملية تبليغ لهذا المضمون الرسالي ومحاولة

دار الكتاب اللبناني، 1984)، ص 320؛ ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، (بيروت: طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي، بدون تاريخ)، ص 286؛ جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفرقي المصري، لسان العرب، المجلد الثامن، (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1956)، ص 1386-1387.

¹⁹ - انظر: حمد بن ناصر، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، الطبعة الثالثة (الرياض: مركز الدراسات والإعلام، 2001م)، ص 25.

²⁰ - محمد الغزالي، مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، (بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي، 1981م)، ص 17.

لتعريف الناس به، وحركة جهاد من أجل البناء ومواجهة الهدم.⁽²¹⁾ وركز باحثون آخرون على تعريف الدعوة على أنها علم. فالدعوة هي "العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الإسلام مما حوى عقيدة وشريعة وأخلاقاً..⁽²²⁾ ومن هذه التحديدات نستطيع أن نرى حقيقة الدعوة وطبيعتها كعملية تبليغ وإيصال وتغيير جذري شامل للواقع من أجل صبغه بالصبغة التوحيدية الإسلامية.

ج- مفهوم "الحضارة"

وأما فيما يتعلق بمفهوم "الحضارة" فإننا نجد كذلك تعاريف لغوية كثيرة بجانب تعاريف⁽²³⁾ اصطلاحية متنوعة. والحضارة في اللغة تعني "الإقامة في الحضر، وأن مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر"⁽²⁴⁾ وتعني كذلك: "الحضور نقيض المغيب.. الحضر خلاف البدو.. الحاضرة: الحي العظيم."⁽²⁵⁾ وتعرف الحضارة اصطلاحاً على أنها: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وأن الحضارة تتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق."⁽²⁶⁾ وتعرف كذلك على أنها: "التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهيم على السواء."⁽²⁷⁾ ويقول مالك بن نبي أن الحضارة هي: "هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه."⁽²⁸⁾ ويبرز لنا الأستاذ

21 - الطيب برغوث، منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، (الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1996)، ص 67-68.

22 - أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، (مصر: دار المعارف، التاريخ)، ص 10-13.

23 - لمزيد من التوضيح انظر: سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي: دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، الطبعة الأولى، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993)، ص 25 وما بعدها.

24 - المعجم الوسيط، ص 180.

25 - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، ص 196.

26 - ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الأول، (جامعة الدول العربية: 1957)، 4.

27 - ألبرت شفيتر، فلسفة الحضارة، (القاهرة: مطبعة مصر، بدون تاريخ)، ص 35-37.

28 - مالك بن نبي، القضايا الكبرى، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1991م)، ص 43.

الطيب برغوث بعدا مهما في تعريف الحضارة حين يربطها من جهة بالرؤية الكونية وبسنن الله في الكون، ويربطها من جهة أخرى بالترقي المعرفي والروحي والسلوكي والعمرائي فيقول: "الحضارة هي حصيلة تفاعل الجهد الإنساني مع سنن الله، وفق رؤية كونية محددة، من أجل الترقى المعرف، والترقى الروحي، والترقى الأخلاقي، والترقى المدني أو العمرائي، إنجازا لمهمة الاستخلاف، واستعدادا لوراثة الجنة." (29)

من خلال هذه التحديدات الأولية لكل من مفهوم "الوعي" ومفهوم "الدعوة" ومفهوم "الحضارة" يمكن صياغة تعريف محدد لمفهوم الوعي الدعوي الحضاري الذي يدور حوله مجمل البحث الحالي. فالوعي الدعوي الحضاري يمكن أن يحدد على أنه ذلك العمق المنهجي والمعرفي والتربوي والتوجيهي والأدائي والإنجازي الذي تصل إليه حركة الدعوة ومؤسساتها، ويظهر هذا العمق والنضج في النشاط الدعوي، والممارسة الدعوية، والخبرة الدعوية، والفعل الدعوي (30) الموجه لإصلاح المجتمع وتجسيد المشروع الحضاري للأمة الإسلامية في الواقع الإنساني المعقد. ويتشكل هذا الوعي الدعوي كحصيلة ونتيجة منطقية للفهم الحضري للإسلام وللممارسة الدعوية، والخبرة الدعوية، والفعل الدعوي، والنشاط الدعوي المستمر والمتداول بين الناس والمتناقل عبر الأجيال.

فوعينا بالدعوة الإسلامية حضاريا يعني معرفتنا، وفهمنا، وإدراكنا، وخبرتنا، وتجربتنا، وحكمتنا التي اكتسبناها من خلال التعلم، والعمل، والتربية، والممارسة، والخبرة، والأداء الدعوي الفعلي. ومن هنا فإن نوعية الوعي الدعوي الذي يملكه الدعاة والعلماء (31)، والذي تملكه الأمة في مرحلة زمنية معينة، وفي مكان وواقع معين إنما هو الحصيلة الأولية للعلم العميق بالدعوة وفهمها، وللممارسة الدعوية، وللنشاط الدعوي، وللخبرة الدعوية، وللتجارب الدعوية ذات الأفق الحضاري والعمق الاستخلافي التي

29 - الطيب برغوث، منهج النبي، ص 97.

30 - لمزيد من التوضيح في مفهوم الفعل الدعوي من منظور حضاري انظر: الطيب برغوث، الأبعاد المنهجية للدعوة في الحركة النبوية، منشورات مركز الفكر الحضاري التربوي، الطبعة الأولى، (كوالامبور: الشروق، 1999م)، ص 62 وما بعدها.

31 - انظر: عبد الله ناصح علوان، فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية، سلسلة مدرسة الدعاة، جزآن، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2001م)، ج 1، ص 19 وما بعدها وج 2، ص 489 وما بعدها.

تكتسبها الدعوة ومؤسساتها في مختلف مراحل الفعل الحضاري، والتفاعلات المختلفة مع الوقائع، والأحداث، والمشكلات، والأوضاع الإنسانية.

إن الوعي الدعوي هو التعبير المحس والواقعي عن خبرة الدعوة، ونضجها، وعمقها على المستوى المعرفي، والنفسي، والسلوكي، والتربوي، والاجتماعي، والأدائي، والمنهجي، والانجازي والحضاري. وهو كذلك يعبر عن قدرة الدعوة، وقدرة الدعاة على الفهم والتفاعل مع النص الإسلامي، والتراث الإسلامي، والواقع الإنساني، والمشكلات الواقعية في مرحلة زمنية معينة وفق منظور حضاري نضيج ومتكامل. ومن هنا فإن قضية الوعي الدعوي ونوعيتها هي التي تعكس لنا مدى النضج في الفعل الدعوي وفي الممارسة الدعوية الحضارية. فإذا كانت الحركة الدعوية، والممارسة الدعوية، والفعل الدعوي منهجي ومنظم ومستوعب للنص الموحى والواقع الإنساني، وقادر على الاستجابة المناسبة لحاجات الناس وظروف الواقع، ومؤهل لتحقيق الإنجازات النوعية في مسار الأمة والمجتمع، فإنه يمكن القول أن الوعي الدعوي قد بلغ نروته في النضج، وأن الدعوة تسير وفق خطى منهجية، ويقودها وعي دعوي حضاري عميق ومتفاعل ومتكامل. وإن نحن وجدنا أن الدعوة متعثرة، وتواجه مشكلات كثيرة، وغير قادرة على الفهم الصحيح للنص، والتعامل المنهجي الموضوعي مع الواقع، وغير قادرة على الأداء المنهجي، والإنجاز الحضاري الفعلي المؤثر - كما هو الحال في بعض جهودنا اليوم - فإن الوعي الدعوي يعاني بالضرورة من مشكلات، ونقائص منهجية، ومعرفية، وتربوية مما يستدعي إعادة النظر والتحليل لهذا الوعي الدعوي وفق منظور حضاري متكامل.

فإذا كان معيار الوعي الدعوي ودرجته من المداخل الأساسية لمراجعة وتقويم الجهد والنشاط والممارسة الدعوية، فإن هذا الوعي ينبغي أن يُدرس وفق منظور حضاري شمولي متكامل يستوعب حقيقته وآفاقه ومناهجه. والمنظور الحضاري في الدعوة هو الذي يساعدنا على النظرة الكلية الشمولية الموضوعية المتكاملة للوعي الدعوي ومفرداته الرئيسية. ولهذا السبب استخدمنا في عنوان هذا البحث مفهوم "الوعي الدعوي الحضاري" بغية التركيز على التحليل من منظور حضاري شمولي. ووفق هذا المنظور الحضاري تبدو الدعوة ليست فقط مجرد نشاط أخلاقي أو وعظي أو تبليغي ولكن كذلك فعل منهجي ومؤسسي، وعملية منظمة خاضعة للسنن الاجتماعية، ولطبائع العمران البشري، ولقوانين

الفعل الحضاري المنظم. فالدعوة هنا هي ذلك الفعل الحضاري الإسلامي نفسه الذي يقوم به المجتمع من أجل إيصال مضمون الخطاب الحضاري الإسلامي الشامل لكافة النشاط الحضاري البشري، وتبليغه، وتعليمه وتفهمه، وتطبيقه في الواقع الفردي والجماعي، الواقع المعرفي والسلوكي، الواقع الثقافي والاجتماعي، والواقع الاقتصادي والسياسي. فليست الدعوة⁽³²⁾ مجرد فضائل وآداب ومواعظ ورقائق، ولكنها فضلا عن ذلك هي الجهد، والنشاط، والفعل، والممارسة، والوظيفية الحيوية لكل الأنبياء والمرسلين والدعاة والربانيين من أجل ترسيخ معاني التوحيد في الحياة، وربط الفعل والسلوك والإنجاز الحضاري الإنساني بالوحي الإلهي.

إن الدعوة في ظل المنظور الحضاري نشاط بحاجة إلى مناهج، ومعارف، وخبرات، وقدرات متكاملة وتنظيمات فاعلة، وخطط استراتيجية، وتوجيهات علمية، ومؤسسات مقتدرة ومتخصصة. كما أنها بحاجة إلى خبرات كافة أفراد المجتمع. ومن هنا فإنه عند الحديث عن الوعي الدعوي الحضاري، فإن ذلك ينسحب إلى الحديث عن الفهم والقدرة والخبرة والحكمة والسلوك والإنجاز الذي تتوفر فيه الشروط المنهجية والمعرفية والعلمية للفعل الإنساني الشامل لكل نشاطات الإنسان. ومن هنا فإن دراسة الوعي الدعوي الحضاري يتطلب الحديث عن الكثير من المعارف والخبرات الإنسانية والاجتماعية والتربوية والإستراتيجية اللازمة لتشكيل هذا النوع من الوعي والاقتدار والفعالية.

ثانيا: المعارف والخبرات اللازمة لتشكيل الوعي الدعوي الحضاري

فإذا كان مفهوم الوعي الدعوي الحضاري بهذا العمق، وبهذا الشمول، وبهذه المنهجية والتنظيم، فإن تشكيل هذا الوعي يحتاج إلى أنواع متعددة من المعارف والخبرات. فما دام الوعي الدعوي الإسلامي وعيا حضاريا في الأساس - أي أنه يستوعب كل الموضوعات الخاصة ببناء حضاري متكامل؛ بما في ذلك بناء الإنسان، والأسرة، والمجتمع، والدولة، والأمة، وتشكيل القيم والثقافة، وتوجيه الاقتصاد والسياسة والاجتماع

³² - راجع: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، الطبعة الثانية، (بغداد: مؤسسة الرسالة، مكتبة القدس، 1987م)، ص

7 وما بعدها.

الإنساني، وتنمية عالم الوسائل والتقنيات والمناهج والأدوات والتنظيمات- فإن هذا الوعي بحاجة إلى كل المعارف والخبرات المطلوبة في أي بناء من هذا النوع.

والداعي والجماعة والمجتمع والأمة التي تحمل هذا الوعي الدعوي الحضاري ينبغي أن تكون على دراية تامة بحقائق هذا الوعي وأبعاده الحضارية الشاملة وشروطه الاجتماعية. ومن المنطقي أن يكون كل وعي دعوي حضاري مستوعب للأمور الآتية:

- الوحي الإلهي المتضمن لنص هذا الوعي وأساسياته ومنظور الحضاري الاستخلافي؛
- النموذج النبوي⁽³³⁾ المبين والمطبق لهذا الوعي والمجسد له على المستوى الفردي والجماعي والحضاري؛
- التراث الدعوي المتناقل عبر الأجيال، والمتضمن لخبرات الأمة وممارساتها وسوابقها وأدبياتها في هذا المجال؛
- الواقع الإنساني المعضل والمعقد الذي يراد التعامل معه وإنزال مضمون الدعوة ومشروعها الحضاري عليه؛
- الأوضاع والمشكلات والعوائق والصعوبات القائمة على طريق التجسيد الفعلي لمشروع الدعوة الحضاري الشامل؛
- المناهج⁽³⁴⁾ والأساليب والتقنيات الاتصالية والإعلامية والتكنولوجيات والأدوات اللازمة للفهم والتطبيق للمضمون الحضاري للدعوة.
- المعارف الدينية والإنسانية والاجتماعية والكونية المطلوبة للتعامل مع مفردات الوعي الدعوي الحضاري الشاملة لكل النشاط الإنساني؛
- الخبرات والقدرات والمهارات والملكات الأدائية والإنجازية اللازمة للاضطلاع بمهمة البناء والتشكيل للواقع الحضاري المتوازن والمنسجم مع الإسلام وخطابه.

³³ - انظر على سبيل المثال: مفيد خالد أحمد عيد، العلاقة بين الفقه والدعوة، الطبعة الأولى، (الكويت: مكتبة دار لبنان، وبيروت: دار بن حزم، 1995م)، ص 79 وما بعدها.

³⁴ - انظر: محمد أمحرزون، منهج النبي في الدعوة من خلال السيرة النبوية الصحيحة، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2003م)، ص 7 وما بعدها.

إن هذا الشمول في الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي⁽³⁵⁾ هو الذي يدفع إلى التأكيد على أهمية إعادة النظر في الوعي الدعوي القائم لدى كثير من الدعاة، والمؤسسات الدعوية، والجماعات الدعوية، والحركات الإسلامية. ففي كثير من الأحيان نجد أن الوعي الدعوي القائم قاصر⁽³⁶⁾ وضعيف وضيق الأفق والمعارف والخبرات، ولا يكاد يستوعب من الدين أو الواقع أو النموذج النبوي أو التراث الدعوي أو عالم الوسائل والتقنيات، وعالم المعارف الدينية والإنسانية والاجتماعية والكونية، وعالم المهارات والقدرات والملكات الانجازية والأدائية إلا القليل. فهذا الوضع المؤسف والمحزن في كثير من الأحيان هو الذي يقف وراء كثير من الانتكاسات، والانحرافات، والمشكلات التي تعاني منها الحركة الإسلامية والدعوية المعاصرة. "ولذلك فإن مهمة الدعوة اليوم أخطر بكثير من مهمتها في الظروف السابقة فلم تعد مجرد التذكير، بل أوشكت أن تكون إعادة البناء الذي تهاوت أسسه وأوشكت أن تنهار في الوقت الذي تداعت فيه الأمم على الأمة الإسلامية".⁽³⁷⁾ وعليه فلا بد من الاهتمام من جديد "ببناء الجهاز الفكري للمسلم المعاصر، وبناء الجهاز النفسي للمسلم المعاصر، وبناء أجهزة القدرات الإنجازية"⁽³⁸⁾ وكذلك ينبغي أن نغير الاهتمام "لعلوم المناهج، والعناية بمناهج الأصول، والعناية بعلم المقاصد، والعناية بمناهج الفقه المقارن، والعناية بمناهج الدعوة، والعناية بالتدريب القيادي، والعناية بالفقه الحضاري..."⁽³⁹⁾

ومن هذا المنطلق فإننا بحاجة إلى صياغة أكثر شمولية وعلمية لمضامين، ومفردات⁽⁴⁰⁾ الوعي الدعوي الحضاري اللازمة لتحقيق أكبر قدر من الإنجاز الحضاري

35 - راجع: فقه الدعوة: ملامح وآفاق، سلسلة كتاب الأمة، العدد رقم: 19، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، قطر.

36 - معاذ محمد أبو الفتح البيانوني، فقه الموازنات الدعوية: معالمه وضوابطه، الطبعة الأولى، (الكويت: شركة الإبداع الفكري، 2005م)، ص 369 وما بعدها.

37 - محمد قطب، كيف ندعو الناس، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الشروق، 2000)، ص 5.

38 - الطيب برغوث، الأبعاد المنهجية للدعوة، ص 108-109.

39 - الطيب برغوث، التغيير الحضاري، ص ص 118-221.

40 - إن الوعي الدعوي الحضاري أول ما يتضمنه هو المعارف والخبرات الدينية والقيمية والشرعية. وهنا ينبغي لمفردات هذا الوعي أن تشمل على القضايا الخاصة "بالرؤية الكونية الإسلامية" وغيرها من الرؤى الكونية.

الإسلامي المعاصر. ولكي توضح أكثر نوعية وطبيعة المعارف والخبرات المطلوبة لتشكيل وعي دعوي حضاري معاصر يستجيب لمتطلبات عصر العالمية والعولمة والتقنية والتكنولوجيا والاتصال والإعلام المتطور سنحاول تقديم نموذج أولي تصور من خلاله نوعية، وطبيعة المعارف والخبرات اللازمة لتشكيل الوعي الدعوي الحضاري المعاصر. فإذا كان الوعي الدعوي الحضاري مطلوباً وضرورياً لأي بناء حضاري إسلامي معاصر، فإن هذا الوعي الدعوي ينبغي أن يتضمن كافة الخبرات والمعارف والمناهج اللازمة لبناء الإنسان والمجتمع والأمة الواعية والقادرة على تحقيق مسؤوليتها الحضارية، والمؤهلة لعرض الإسلام كمشروع حضاري بديل ورائد. ومن هنا فإن هذا الوعي الدعوي ينبغي أن يتضمن على الأقل أربعة أنواع من المعارف والخبرات وهي:

1. المعارف والخبرات الدينية أو الشرعية المتصلة بفهم النص واستيعابه. (41)

والقضايا الخاصة بمختلف العلوم الشرعية خاصة، والعلوم الدينية والأخلاقية عامة. مثل: علم العقيدة والكلام وأصول الدين، وعلوم الحديث، والسيرة النبوية، والسنة النبوية، وعلوم القرآن، وعلوم التفسير، وعلم الأصول والفقه والمقاصد، وعلم التاريخ الإسلامي، وعلوم اللغة العربية وغيرها كثير. ويتضمن الوعي الدعوي الحضاري كذلك كل المعارف والخبرات المتصلة من العلوم الإنسانية والاجتماعية والسلوكية بعد تأصيلها، وتنقيتها مما علق بها من الفلسفات الوضعية. مثل: علم الثقافة والنفس والاجتماع وفروعه الكثيرة، وعلم التربية والاقتصاد والإدارة والإعلام والاتصال والسياسة وغيرها كثير. وبنفس الصورة ينبغي أن يتضمن الوعي الدعوي الحضاري ما يتصل بالعلوم الكونية، والطبيعية، والمادية، والتقنية من خبرات ومعارف تفيد في فهم حركة الكون والحياة. فالعلوم الكونية والطبيعية مفيدة لأن كثيراً منها يكشف لنا عن سنن الله وآياته في الكون والأنفس. وكما هو معلوم فإن القرآن الكريم حافل بالآيات والسنن الخاصة بالكون والطبيعة والحياة. كما يحتاج تشكيل الوعي الدعوي الحضاري إلى الخبرات والمعارف المتصلة بالتكنولوجيا، والأداء، والإدارة، والتنظيم والإنجاز، والمراجعة والتقييم وغيرها كثير. من هنا يمكننا القول أن تشكيل الوعي الدعوي الحضاري المتكامل يتطلب منا أن ندرك بعمق حقيقة ونوعية وطبيعة الدعوة التي نريد أن نبلغها للناس، وطبيعة المشروع والمضمون الذي تحمله هذه الدعوة، والمجالات الأساسية الذي تتمحور حولها مشاريع الدعوة. وكما بينا سابقاً فإن مشروع الدعوة الإسلامية مشروع حضاري يستوعب كل حركة الاستخلاف ومفرداتها. فهذا الفهم الشمولي الكلي المتكامل للدعوة، ومضمونها، ومشروعها يجعلنا نتحدث عن وعي بالدعوة يكون حضارياً شاملاً.

41 - انظر: أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة: دراسة منهجية شاملة، الطبعة الثالثة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995)، ص 120 وما بعدها. ويحي محمد محمد، معالم الدعوة الإسلامية، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1995)، ص 271 وما بعدها.

2. المعارف والخبرات الإنسانية والاجتماعية⁽⁴²⁾ والسلوكية المتعلقة بفهم الإنسان والواقع والمجتمع والأمة والحياة.

3. المعارف والخبرات الكونية والوجودية المتعلقة بفهم الكون والطبيعة وعالم المادة.

4. المعارف والخبرات التنظيمية والإدارية والتقنية والتكنولوجية والمنهجية والبنائية والأدائية والانجازية. وكل نوع من هذه المعارف والخبرات يشتمل على علوم ومعارف وخبرات ومهارات متنوعة، وكثيرة تصب كلها في تشكيل الوعي الضروري لجعل الإنسان مؤهلاً لأداء رسالته على أتم وجه وأتمه.

ولكي ندرك حقيقة هذا الوعي الدعوي الحضاري⁽⁴³⁾ المنشود ينبغي لنا أن نتعرف على خصائص الدعوة الإسلامية ذلك لأن معرفتنا بهذه الخصائص سيبين لنا بوضوح نوعية وطبيعة الوعي الدعوي الذي ينبغي أن نطوره ونعلمه للأجيال الإسلامية. فمعرفتنا بخصائص الدعوة الإسلامية له أثر ودور ووظيفة مهمة جداً في تشكيل الوعي الدعوي الذي يستجيب لطبيعة هذه الدعوة ويعكس مضمونها، ويعبر عن حقيقتها وآفاقها الحضارية العالمية. فكلما أدرکنا بعمق ودقة خصائص الدعوة الإسلامية، كلما كنا قادرين على تطوير وتشكيل وعي يرتفع إلى مستوى تلك الخصائص، وإلى مستوى الإسلام العظيم في رؤيته، الوسط في أمته، المتوازن في منهجه، الفاعل في حركته، القاصد في سيره. ولما كان أمر خصائص الدعوة وأثرها وأهميتها في تشكيل الوعي الدعوي الحضاري المطلوب عظيماً وجليلاً، فإن العنصر الآتي من البحث يحاول تحليل أهم هذه الخصائص وربطها بمسألة تشكيل الوعي الدعوي الحضاري.

⁴² - لمزيد من التفاصيل انظر: محمد زين الهادي، علم نفس الدعوة، الطبعة الأولى، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1995) وكذلك كتابه: المنهج العلمي للدعوة، الطبعة الأولى، (القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 1990). وحاتم محمد عبد القادر، الدعوة الإسلامية وأجهزة الإعلام، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996). وعلي محمد جريشة، التخطيط للدعوة الإسلامية، سلسلة "دعوة الحق"، السنة الأولى، العدد: 7، السنة 1401، مكة. والطبيب برغوث، الدعوة الإسلامية والمعادلة الاجتماعية، الطبعة الأولى، (الجزائر: دار البعث، 1985)

⁴³ - راجع: محمد أحمد الراشد، المنطلق، سلسلة إحياء فقه الدعوة (1)، الطبعة 15، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1989م)، ص 155 وما بعدها؛ محمد أحمد الراشد، الرقائق، سلسلة إحياء فقه الدعوة (3)، الطبعة 13، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1989م)، 8 وما بعدها.

ثالثاً: خصائص الدعوة وأهميتها في تشكيل الوعي الدعوي الحضاري

أ- خاصية الربانية⁽⁴⁴⁾ وضرورة أن يُصبغ الوعي الدعوي الحضاري بالصبغة التوحيدية

تمتاز الدعوة الإسلامية بجملة خصائص رئيسة تساهم في تحديد معالم ونوعية الوعي الدعوي الحضاري المنشود والمؤهل لإنجاز المشروع الاستخلافي المنوط بالأمّة. ومن أهم هذه الخصائص خاصية الربانية التي تحدد صبغة الوعي الدعوي، وأصالته ومرجعياته العليا، ومصدريته. وتدور هذه الخاصية حول ثلاثة مسائل أساسية. أولها أن مصدر هذه الدعوة هو الوحي الإلهي الخالص والهدي الرباني الذي أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وارث تراث النبوات والرسالات وفتح عصر الدعوة العامة والعالمية. فمصدرها إلهي خالص لا تدخل فيها لتحريفات وتغييرات البشر. ومن هنا فهي تختلف عن الدعوات الدينية السابقة عليها، والتي لحقت بها يد التغيير والتحريف مثل اليهودية والمسيحية، كما تختلف عن الدعوات البشرية التشكيل مثل: البوذية والهندوسية وغيرها. وثانيها أنها دعوة تدعو إلى التوحيد الخالص كما أنزله الحق تبارك وتعالى على نبيه. فلا تأله الأنبياء ولا تعطي للبشر والأولياء قيمة أو مكانة أكثر مما هو محدد لهم ولا تأله البشر ولا تزعم الله الشركاء والأولاد وغيرها من الادعاءات الكاذبة. فهي تدعو إلى توحيد الله في ربوبيته كرب خالق مالك مدبر رازق، وتوحيد الله في ألوهيته كإله مشرع متفرد بالعبودية، وتوحيد الله في صفاته وأسمائه التي حددها الحق تبارك وتعالى لنفسه وأمرنا أن نؤمن بها وندعوه بها. وثالثها أنها تجعل التوحيد أساساً لحياة الإنسان وعبادته وفكره وسلوكه وعمله وعلاقاته الاجتماعية والكونية. وتدعو إلى عبادة الله واجتناب الطاغوت. فكل حركات الإنسان ونشاطاته الروحية والمعنوية والمادية ينبغي وأن تحكم بمفهوم التوحيد. فيكون بذلك عبداً ربانياً في سائر أحواله يبتغي فيما أتاه الله في عالم الشهادة الفوز في عالم الآخرة والبقاء بالمقام المحمود. "إن عقيدة التوحيد قد منحت المسلم يقيناً بأن لا رب إلا الله يخاف ويرجى ولا إله إلا الله يجتنب سخطه، ويلتمس رضاه، وبهذا أخرج المسلم من

44 - انظر: عبد العزيز برغوث، مناهج الدعوة في المجتمع المتعدد الأديان والأجناس، الطبعة الأولى، (كوالامبور، مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، 20905م)، ص 143.

كل الأرباب الزائفة من حياته، وحطم كل الأصنام المادية والمعنوية من قلبه، ورضي بالله وحده ربا عليه يتوكل وإليه ينيب، وفي فضله يطمع، ومن قوته يستمد، وله يتودد، وإليه يحتكم، وبه يعتصم".⁽⁴⁵⁾

وربانية الدعوة الإسلامية تركز على المصدر الإلهي ونوعية التوحيد الذي تتضمنه ونوعية التصور الاجتماعي الذي يجعل هذا التوحيد أساسا لفعل الإنسان وحركته الفردية والجماعية والحضارية والعمرانية. "فالتوحيد هو القضية الأساسية الكبرى، الأكثر تكرارا وبروزا في الكتاب والسنة، والأكثر محورية في التراث العقائدي للمسلمين. فهو السلك الذي ينتظم حبات أو فقرات هذا الوجود وهذه الحضارة، ويعطيها معناها ويحدد لها وظيفتها ويدعم فعاليتها ومصداقيتها، بدونه يفقد الوجود الإنساني معناه ويضيع وظيفته، ويفقد فعاليتها ويتحول إلى فوضى وخراب. فالتوحيد بالنسبة للوجود الإنساني — كما هو للوجود الكوني كله — هو الضابط الأساس في ضمان أداء الوظيفة الاستخلافية التي تعتبر المدار الطبيعي لحركة الوجود الإنساني".⁽⁴⁶⁾

إن الربانية كخاصية محورية للدعوة الإسلامية تجعل الوعي الدعوي الحضاري:

- (1) بعيدا عن تحريفات وأوهام البشر لأن مصدرها الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى.
- (2) معياري أي أنه قيمي وأخلاقي.
- (3) اجتماعي أي تربطه أساسا بالفعل الإنساني الاجتماعي والثقافي والعمراني. فيؤثر التوحيد في كل حياة الإنسان الروحية والمعنوية والأدبية والعمرانية والمادية والشرعية والتعاملية.
- (4) يساهم في تحرير الإنسان من الأوهام والخرافات والخوف وتبث فيه روح الطمأنينة والثقة والاستقرار والاستعداد للقاء الله والعمل في سبيله. كما "تحرر الإنسان من العبودية لأنانيته وشهوات نفسه، ولذات حسه، ومن الخضوع والاستسلام لمطالبه، ورغباته الشخصية".⁽⁴⁷⁾

45 - القرضاوي، الخصائص العامة للشريعة، الطبعة الرابعة (القاهرة: مكتبة وهبة، 1989م)، ص14.

46 - الطيب برغوث، منهج النبي، ص130.

47 - القرضاوي، الخصائص العامة للشريعة، ص15.

ب- خاصية التيسير⁽⁴⁸⁾ والتخفيف وتوافق الوعي الدعوي الحضاري مع الفطرة الإنسانية

إن الدعوة الإسلامية الربانية الصبغة والمضمون تتميز كذلك بأنها دعوة تيسير وتخفيف⁽⁴⁹⁾ على الناس. ومعنى هذا أنها تكلف الناس على قدر طاقتهم، ووعيتهم، وقدراتهم، واستطاعتهم، وتخطابهم على قدر ما يفهمون ويستوعبون، وتحملهم على حسب ظروفهم وأوضاعهم وواقعهم ومشكلاتهم وخصائصهم. والدعوة الإسلامية راعت في التكليف طبائع الخلق وسنن الاجتماع البشري وقوانين الفطرة، فأنزلت الناس منازلهم ونظرت إلى كل واحد منهم على قدر معادلته وصفاته وشخصيته. فقد "تهج رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في توجيهه التربوي العالي منهج الرفق بالنفوس الضعيفة، فقوم ما بها من اعوجاج، وأصلح ما فيها من انحراف، ليكون في هذا التوجيه النبوي، أسوة للدعاة والمصلحين، وأنهم يبلغون بالرفق والتيسير ما لا يمكن أن يبلغوه بالعنف والتعسير".⁽⁵⁰⁾

ومن أوضح معاني ومظاهر التيسير والتخفيف التدرج في حمل الناس على التكليف، وجعل العقيدة والشريعة ميسرة سهلة في مقدور المكلف إدراكها وتطبيقها، ووضعت الرخص وقبلت الأعذار ووضعت للضرورات أحكامها ويسر الخطاب للذكر وبين ما يحتاج إليه المكلف من أشياء ومسائل تخص تعبه وعمله وعلاقاته والمرونة في التعامل مع الواقع والأشخاص. "والذي يتأمل نصوص القرآن والسنة يقف على قوة النزعة الواقعية في الدعوة الإسلامية، حيث يلاحظ مدى اهتمامها بمراعاة الأعراف، واحتفالها برفع الحرج، ومراعاة سنة التدرج، والمرونة في مواجهة تنوع الواقع وتجدد الأحداث".⁽⁵¹⁾ فالدعوة الإسلامية وشريعتهما الغراء تراعي أول ما تراعي في التكليف

48 - انظر: يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة (القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 1991)، ص11 وما بعدها.

49 - عبد العزيز برغوث، مناهج الدعوة، طبعة 2005م، ص 146.

50 - أحمد عمر هاشم، زاد الداعية (بدون مكان النشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ، والطبعة)، ص24-25.

51 - الطيب برغوث، منهج النبي، ص147.

قدرة الإنسان. وقد "ثبت في الأصول أن شرط التكليف أو سببه القدرة على المكلف به. فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعاً، وإن جاز عقلاً". (52)

فالدعوة الإسلامية في حقيقتها دعوة للتخفيف على الناس والتيسير عليهم "فإن الشارع لم يقصد إلى التكليف بالشاق والإعنات فيه. والدليل على ذلك أمور: أحدها النصوص الدالة على ذلك؛ . كقوله تعالى: {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (الأعراف: 157). 2. وقوله: {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} (البقرة: 286). 3. وقوله: {لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} (البقرة: 286). 4. وقوله: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (البقرة: 185). 5. {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (الحج: 78). 6. {يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} (النساء: 28). 7. {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ} (المائدة: 6). (53)

وخاصية التيسر والتخفيف تقف في قمة الخصائص العامة للدعوة الإسلامية، وبها استطاع الرسول ﷺ تحقيق مكاسب عظيمة للإسلام والمسلمين في زمانه، وكذلك كان وعي الصحابة والتابعين والعلماء والربانيين بها سببا أساسيا لنجاحهم في استقطاب الناس والتأثير فيهم. "هكذا يتضح بأن النبي ﷺ، كان يتحرك بعلم شامل ودقيق بالنفوس البشرية، والأوضاع الاجتماعية، عن طريق دراسته للشخص الذي يريد دعوته، أو نصحه أو إجابته، أو توجيهه، ويتعرف على ظروفه، وعلى طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، والجماعات التي ترتبط بها، العادات والتقاليد التي يعتادها، ثم يعطيه بعد ذلك ما ينسجم مع وصفه الخاص، ليتدرج به في سلم الالتزام بالإسلام". (54)

إن خاصية التيسر والتخفيف تعطي للدعوة الإسلامية حيوية وخفة وفعالية تسمح لها بتحقيق أهدافها وبيان حقيقتها كدعوة إنسانية جاءت لغاية الإنسان وتحقيق

52 - الشاطبي، الموافقات، ص 107.

53 - انظر الشاطبي، الموافقات، ص 107-121، 122-123.

54 - الطيب برغوث، الواقعية في الدعوة إلى الإسلام: ضرورتها والسميل إليه (الجزائر: دار الشهاب للطباعة والنشر، ط1، 1984)، ص 32-34، 35.

مصالحه. وبهذه الخاصية ينكشف لنا أهم أبعاد الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي وهي:

- (1) أن يكون هذا الوعي الدعوي متناسبا ومنسجما مع طبيعة الإنسان وتكوينه.
- (2) أن يخاطب الإنسان على قدر وعيه وقدرته وفهمه وواقعه وأحواله وظروفه ومشكلاته وحاجاته ومرحلته وعمره الفكري والعقلي.
- (3) أن يراعي متغيرات الواقع وتحولاته المؤثرة في الوعي والسلوك.
- (4) أن يتدرج مع الإنسان ويحمله من مرحلة إلى مرحلة، ومن واقع إلى واقع، ومن مستوى إلى مستوى بصورة سهلة ميسرة لا يحس فيها بالشدّة والمشقة القاهرة وبالتكليف بما لا يطيقه الإنسان.
- (5) أن يجعل الشريعة الإسلامية خطابا مباشرا للفطرة الإنسانية الخيرة، وهديا مستقيما يرشد الإنسان إلى صالح الأعمال والأفعال.
- (6) أن يحطم صنم وشهوة التشدد والتتبع والعنف والإفراط والتفريط والإكراه والتعسف والتعسير ويرسخ في حياة الأجيال وثقافتها معالم التسامح والاستبشار والتراحم والاستقامة والتوازن والحوار والحق والعدالة والتيسير.
- (7) أن يقدم الإسلام للناس كحل وعلاج لمشكلاتهم وكمفتاح يسير للتعامل مع حاجاتهم ونداءاتهم وصرخاتهم التي تبحث عن الدواء لأسقامهم.

ت- خاصية العالمية⁽⁵⁵⁾ وصلاحية الوعي الدعوي الحضاري لمخاطبة الناس كافة

الدعوة الإسلامية دعوة ربانية ميسرة ومخففة بصورة تجعل منها دعوة فطرية. ومن هنا فهي دعوة عامة تتوجه بخطابها لكافة البشر ولجميع المكلفين والمستخلفين في الأرض، وإلى غيرهم ممن شاء الله سبحانه وتعالى. وعالمية الدعوة الإسلامية⁽⁵⁶⁾ من أعظم خصائص الدعوة المحمدية التي كانت خاتمة لسلسلة النبوات والرسالات وفتاحة لعهد الخطاب البشري الشمولي العام. ذكر ابن منظور في تعريفه لمعنى العالمية: "والعالمون: أصناف الخلق، والعالم: الخلق كله... وفي التنزيل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}؟ قال: ابن

55 - عبد العزيز برغوث، منهاج الدعوة، طبعة 2005م، ص 152.

56 - محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الطبعة الأولى، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1995م)، ص 13 وما بعدها.

عباس: ربّ الجن والإنس، وقال قتادة: ربّ الخلق كلهم. قال الأزهرى: الدليل على صحة قول ابن عباس قوله عزّ وجلّ: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}، وليس النبي ﷺ نذير للبهائم ولا للملائكة وهم كلهم خلق الله وإنما بعث محمد نذيراً للجن والإنس... وقال الزجاج معنى العالمين، كل ما خلق". (57) ويشير القرآن الكريم والسنة النبوية إلى عالمية الخطاب والدعوة الإسلامية في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} (الفرقان: 1). {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء: 91). {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} (سبأ: 28). {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} (الأعراف: 158). {هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ} (إبراهيم: 25). ومنها كذلك قوله ﷺ: "فضلت على الأنبياء بست... منها: وأرسلت إلى الخلق كافة" (رواه مسلم والترمذي وابن ماجه). وفي هذا السياق يذكر صاحب مجمع البيان في معنى قوله (إليكم جميعاً) قوله: "ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبينا أن يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم... فقال أدعوكم إلى توحيده وطاعته وإتباعي فيما أؤديه إليكم وإنما ذكر جميعاً للتأكيد وليعلم أنه مبعوث إلى كافة". (58)

إن التوجه العالمي للدعوة الإسلامية يظهر بوضوح على مستوى الشكل والمضمون معاً. حيث يلاحظ بقوة كيف تجاوز عتبة أو نطاق الشخصية والقومية والطبقية والجغرافية، إلى آفاق العالمية الرحبة، فكثر استعمال مثل النداءات الموحية: يأيتها الناس، يأيتها الذين آمنوا، قل يا عبادي، وهي قوالب تعبيرية ذات دلالة عميقة نقلت الدعوة من إطارها القومي الضيق إلى نطاقها الإنساني العام". (59) والخطاب الإسلامي العالمي العام يجسد حقيقة الدعوة الإسلامية ويبين آفاقها وطموحاتها على مستوى خدمة البشرية جميعاً وإدخالها في عملية الاستخلاف وترشيدها إلى الهداية

57 - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 12، ص 420-421.

58 - ابن علي الفضل بن الحسن الطبري، مجمع البيان في تفسير القرآن (لبنان: دار المعرفة، ط1، 1986)،

ص 751.

59 - الطيب برغوث، منهج النبي، ص 151.

الإلهية العامة. كما أن عالمية الدعوة الإسلامية تجعل الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي:

- (1) متوجها بخطابه ومضمونه لكل الناس.
- (2) موافقا للفطرة الإنسانية وجريانه على حسب طبيعتهم وتكوينهم واستطاعتهم.
- (3) انسجامه مع سنن الله في الأنفس والمجتمعات وقوانين الله في الكون والحياة.
- (4) توافقه مع حقائق العلم والمعرفة الثابتة المضطردة.
- (5) مراعاته لاختلاف الشخصيات والعوائد والثقافات واعتبارها لخصوصيات المجتمعات والقبائل والأمم والشعوب.
- (6) مرونته وقدرته على الاستجابة للتغيرات والتطورات والتجديدات التي تحدث في الوعي الإنساني والواقع البشري والعمران الحضاري.
- (7) دفاعه وحمايته للقيم والمبادئ الإنسانية العامة التي اتفقت عليها الملل المستقيمة والعقول الراجحة والفطرة الخيرة من التسامح والعدالة والتكريم والحرية والمساواة والتعاون والاجتماع.
- (8) جمعه لحقائق ومسائل عالمي الشهادة والغيب التي تخص حياة الإنسان في حياته الحالية وفي حياته بعد الموت والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.
- (9) نظرته إلى الإنسان بصورة شمولية كلية وليست جزئية. فالوعي الدعوي الحضاري الإسلامي ينبغي أن يوازن في نظرته للإنسان إلى كل ما يخص تكوينه وشخصيته وحياته وواقعه وحضارته ومجتمعه. فتشمل نظرته ما هو دنيوي وأخروي وما هو مادي وروحي، وما هو عقلي ونفسي، وما هو فكري وسلوكي. ويغطي كل جوانب حياته بدون استثناء وبهذا يخرج الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي الإنسان من النظرة الجزئية التي تركز في الإنسان على جزء منه أو على ملكة أو حاسة من حواسه. فالوعي الدعوي الإسلامي ينبغي أن يخاطب الإنسان في كله المتكامل وينظر إليه في نطاق شموليته العامة التي تلبي له كل حاجاته بدون استثناء.

ث- خاصية العلمية⁽⁶⁰⁾ وضرورة توافق الوعي الدعوي الحضاري مع سنن الله في العبادة والعمران

ومن أهم خصائص الدعوة كذلك خاصية العلمية. ومعنى علمية الدعوة الإسلامية كونها مؤسسة على العلم، وتدعو إلى العلم، وتجعل العلم أساساً للإيمان والعمل الصالح. وكونها كذلك مبينة على نظر سننية للحياة والوجود والفعل الحضاري. والدعوة الإسلامية تعد من أهم الدعوات الدينية التي جعلت العلم في قمة المقاصد التي ينبغي لكل فرد مسلم أن يعمل جاهداً لتحصيلها، والاستفادة من ثماراتها. "والدعوة الإسلامية كدعوة علمية، قائمة في مبناها وأصولها وكل قضاياها على العلم الحقيقي المحيط بالإنسان والكون والحياة لصدورها من عند الله تعالى خالق الوجود العالمي والمدير لأمره، تكرر هذا النزوع العلمي في من تتوجه إليهم بالخطاب، كما يظهر جلياً مما يلي:

- دعوة الإنسان إلى تأمل مظاهر الطبيعة في نفسه وفي الظواهر الكونية المحيطة به، حيث يلاحظ القارئ للقرآن الكريم مدى كثافة النصوص التي تلفت النظر إلى المعمار الكوني بما فيه خلقه الإنسان نفسه ...

- التشنيع الكبير بعدم إعمال الفكر، وتعطيل العقل عن تأمل مخلوقات الله، والانسحاق وراء الخرافة والوفاء العاطفي الأصم لمواريث الآباء والأجداد، والفناء في الأشخاص، والاستسلام للظنون الكاذبة، وركوب الأهواء، كما قال تعالى: {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} (يونس: 101). وقال كذلك: {وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (المؤمنون: 80).

- دعوته الصريحة للعلم والتعلم وإعلاؤه مقام العلماء العاملين الراسخين في معرفة آيات الله، كما يتضح ذلك من هذه الآيات: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (آل عمران: 18). {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (النحل: 43). {رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (طه: 114). {وَإِذَا

⁶⁰ - عبد العزيز برغوث، مناهج الدعوة، طبعة 2005م، ص 171.

قِيلَ انشُرُوا فَانَشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ {المجادلة:11}. وقول النبي عليه الصلاة والسلام: "طلب العلم فريضة على كل مسلم".⁽⁶¹⁾ "من يرد الله به خيرا يفقه في الدين".⁽⁶²⁾ (من هذه المعطيات جميعا نصل إلى القول بأن النزعة العلمية خاصة أساسية وجوهرية في الدعوة الإسلامية).⁽⁶³⁾

إن هذه الخاصية للدعوة الإسلامية تجعل الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي متمسما:

- (1) النزعة العلمية وتأسيس الأعمال على العلم الصحيح.
- (2) متوجها نحو نفع الناس ودفعهم إلى إدراك الحق والإستزادة من سلطان العلم المفيد.
- (3) الانسجام مع سُنن الله وقوانينه في الفعل والحركة والنشاط الحضاري. ومن هنا يصبح طلب العلم بسنن الله واجبا وقوة في يد المسلم على طريق بنائه للحضارة المتوازنة والمتكاملة.
- (4) تؤسس الدعوة على الحجة والبرهان والدليل والإقناع. فلا تقوم الدعوة على الإكراه والتعسف ولكن على الإقناع والبيان وإقامة الحجة وتقديم البلاغ المبين للناس .
- (5) فهكذا إذن تبدو الدعوة الإسلامية علمية وتدافع عن العلم النافع، وتحث الإنسان إلى طلب العلم، وتجعل العلماء هم السادة الحقيقيون داخل المجتمع. فهم الذين يبلغون الهدى، ويبينون الطريق الصحيحة للناس بعلمهم. ومن هذا المنطلق فإن هذه الخاصية تجعل الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي وعيا علميا سُننيا مؤسسا على البرهان والدليل، ومبنيا على الإقناع والبلاغ المبين. إن هذه الخصائص -القليلة- المهمة للدعوة الإسلامية والتي ينبغي أن تعكس إيجابيا في عملية تشكيل الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي تجعل حركة الدعوة

⁶¹ - سنن ابن ماجة، المقدمة، باب: فضل العلم، 81/1، حديث رقم: 224.

⁶² - البخاري، كتاب: فرض الخمس، باب قوله تعالى: {فإن لله خمسه} (...من فتح الباري، 6/65).

⁶³ - نقلاً عن: الطيب برغوث، منهج النبي في حماية الدعوة، ص124-125.

الإسلامية حركة ربانية، ميسرة، عالمية، محفوظة، مصلحة، مهيمنة وعلمية سنّية. وبالتالي فالمطلوب الآن هو تشكيل وعي دعوي حضاري إسلامي معاصر تبرز فيه كل هذه الخصائص، وتتجسد فيه كل هذه المعاني على المستوى الفردي والاجتماعي والحضاري العام. فالوعي الدعوي الحضاري المنشود والذي يلتزم خصائص الدعوة، ويتمثلها هو ذلك الوعي القادر على رفع الوعي، والفكر، والفهم، والسلوك، والثقافة، والأداء الإنساني إلى المستوى الحضاري للإسلام، وفتح آفاق جديدة له ترشد خطاه في عالم بناء الحضارة المتوازنة التي تستطيع تجسيد قيم ومعاني الإسلام في حياة الناس الفردية والجماعية، وفي صلتهم مع الله سبحانه وتعالى ومع أنفسهم ومع مجتمعاتهم ومع الكون الذي يحيط بهم.

إن الوعي الدعوي الحضاري المطلوب هو ذلك الوعي الذي يتصور الدعوة الإسلامية كمشروع رسالي استخلافي ينبغي أن تجسد قيمه وأفعاله على مستوى حضارة. والوعي الدعوي الحضاري الإسلامي المعاصر ينبغي أن يهدف إلى تخريج وتشكيل إنسان ومجتمع وثقافة الحضارة الاستخلافية، ومن هنا ينبغي إعادة النظر في الوعي الدعوي القائم، وربطه أكثر بالمشروع الحضاري الاستخلافي الشامل للأمة. فمضمون الوعي الدعوي الإسلامي ينبغي أن تنعكس فيه القيم الحضارية الكبرى للإسلام. إذ يتوجب الأمر أن يتمكن الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي من رفق الإنسان ومده بالقيم اللازمة لتحضره عقليا وفكريا ومعنويا وماديا ومدنيا وعمرانيا واجتماعيا وتنظيميا وغيرها من معاني الوعي الحضاري.

إن الدعوة الإسلامية على هذا ينبغي أن تعزز ما سبق وأن عبرنا عنه "بالوعي الدعوي الحضاري" القادر على:

1. تقديم خطاب الإسلام كمشروع رسالي لبناء الواقع الحضاري المتطور علميا وفكريا وثقافيا وسلوكيا ومعنويا وعمرانيا .
2. صياغة الدعوة الإسلامية صياغة حضارية عن طريق تقديم رؤية حضارية للإنسان والكون والحياة، وبناء منهج حضاري للتفكير والسلوك والعمران، وتجسيد

المشروع الحضاري للدعوة في واقع الناس كحل لمشكلاتهم ومعضلاتهم العملية الميدانية. (64)

3. الدخول في حوار حضاري مع أصحاب الحضارات المختلفة ومحاولة نقل قيم الإسلام ومعاني دعوته إليهم، بوصفه حضارة متفاعلة مع الكون والحياة والناس.

4. تجسيد الدعوة كمشروع رسالي حضاري استخلاقي معناه توفير القدوة الشاملة للناس منهاجيا وبشريا وحضاري. "بالقدوة المنهاجية، يعلم الناس، أن الإسلام وحده، هو القادر على تحقيق التوافق والانسجام في حياتهم والتوازن في حركة الحياة داخل المجتمع، وإقناع الناس بهذا الإعجاز في الإسلام، يستلزم مقدرة كبرى على عرض حقائقه وخصائصه، التي تقتحم أسوار النفوس، وتتغذى إلى عقولهم، لتبديد الوهم والفوضى والاضطراب الذي زرعه الأفكار، والمفاهيم الوضعية، حينما انفردت بتخطيط وتوجيه وصياغة حياة الناس الفردية والجماعية. والقدوة المنهاجية مع كونها أصلاً أصيلاً في نجاح الدعوة أو فشلها، تبقى قليلة الجدوى، بدون تجسدها في واقع بشري حي متحرك، يراه الناس ويتعاملون معه، وهذا يستلزم قدوة بشرية تتمثل الإسلام في حياتها: اعتقاداً وتفكيراً وسلوكاً وعملاً، كما فعل رسول الله ﷺ، وأقنع الناس بأنه على حق، فأنجبوا إليه وأحبوه، وذابوا في دين الله بشكل لا نظير له في تاريخ الدعوات، وما ذلك لأن رسول الله ﷺ، كان قرآناً يمشي بين الناس، فهو كان يعيش الإسلام، ويدعو إليه بسلوكه قبل قوله، ولو أنه أكثر الكلام وقل العمل لانفض الناس من حوله... والقدوة البشرية بدورها لا تكفي، بل يظل أثرها محدداً إذا لم يكن وراءها مجتمع قوي كنموذج متكامل الجوانب للحياة الإنسانية، أو للحضارة التي ينشدها الإسلام... فعندما يحقق المسلمون القدوة في هذه المجالات الثلاثة، يكونون قد ضمنوا أقوى عوامل النجاح للدعوة إلى الله". (65)

5. توجيه الناس إلى عوامل البناء الحضاري المستقيم والمتوازن من وحي وعلم وعمل وقيم وأخلاق وتنظيم وتخطيط وغيرها.

64 - انظر: عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، الطبعة 10، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1990م)، ص 42 وما بعدها.

65 - الطيب برغوث، القدوة الإسلامية: فرضيتها - ضرورتها - السبيل إليها (الجزائر: دار الشهاب للطباعة والنشر، ط1، 1984)، ص 5-6، 7.

6. ترشيد الناس إلى النظر في آيات الله وقوانينه وسننه في الآفاق والأنفس والتاريخ والواقع.

7. حث الناس على معرفة وفهم قوانين سير الحضارات والمجتمعات وتطورها وضعفها وتجدها.

8. الأخذ بأيدي الناس في تفاعلهم مع الواقع الإنساني المعقد وحملهم على المناهج والطرائق المتناغمة مع الفطرة والمناسبة لاجتماعهم وترقيهم وعمرانهم.

الخاتمة

لقد تبين من خلال هذه الجولة السريعة في موضوع "الأبعاد الحضارية للإسلام وضرورة تشكيل الوعي الدعوي الحضاري"، إنه بمقدار ما ترفع الدعوة الإسلامية لواء الوعي الدعوي الحضاري المتوازن، والمستوعب للتجربة الحضارية البشرية، بمقدار ما تؤثر في الناس، وتلقى قبولا لأنها في هذه الحالة تصبح مفتاحا، ومسلكا حيويا على طريق التطور والتقدم الحضاري المتجدد. فالناس في زمن التقدم التقني والعلمي، والعمراني والتكنولوجي سيبحثون عن نموذج ومشروع ومنهج حضاري يدفع بهم إلى ما وراء قدرتهم ووعيتهم الحضاري القائم. فهم يبحثون عن المزيد من التقدم والتفاعل والتحضر، ومن هنا فمن مصلحة الدعوة أن تقدم نموذجها الحضاري العالمي الإنساني، وتنقل من مرحلة الخطاب النظري العام، والخطاب الأخلاقي والمعنوي إلى الخطاب الحضاري الاجتماعي الذي يقدم للناس القدوة المنهجية والبشرية والحضارية.

إن المرحلة الحالية من تطور البشرية ووعيتها الفكري والحضاري يتطلب العمل الجاد والمنظم من أجل تجسيد المعاني الحضارية للدعوة حتى يعثر الناس فيها على قدوة أرقى مما هم عليه، وأنسب، وأمن لمواصلة تطورهم وتحضرهم على وفق قوانين وسنن الواقع والتاريخ والكون. ومن هنا تأتي الأهمية القصوى للاجتهاد الجماعي من أجل تشكيل الوعي الدعوي الحضاري المتأصل في عمق الأصالة الإسلامية، والمستوعب لعمق التطورات الحضارية المعاصرة، والمتجاوز لسقف الوعي الحضاري القائم، والقادر على تقديم الحلول العملية للمشكلات الإنسانية الكبرى التي تعيشها الحضارة البشرية في عصر العالمية والعولمة.

ومن هنا ينبغي لنا أن نوجه كافة المؤسسات والطاقات والإمكانات التي تتوفر عليها مجتمعاتنا الإسلامية توجيهها يفضي بها إلى المساهمة في إعادة تشكيل الحضارة الإسلامية المتوازنة. إذ ينبغي لنا أن ننظر إلى الدعوة كوسيلة ضرورية لاستنهاض كل الطاقات البشرية والمادية والفكرية باتجاه البناء والتنمية الحضارية الشاملة. وهنا يأتي دور الوعي الدعوي الحضاري الإسلامي المعاصر في استثمار هذه الطاقات لخدمة المشروع الحضاري للأمة. والوعي الدعوي الحضاري المطلوب هو ذلك الوعي الذي يفعل كل المؤسسات والطاقات ويحولها إلى ساحات للتربية الحضارية القادرة على بناء الإنسان والأسرة والمجتمع والدولة والأمة والثقافة والحضارة الخلاقة والمبدعة. وعليه ينبغي لنا أن نراجع وعينا الدعوي القائم مراجعة نقدية علمية منهجية موضوعية لنتلف ونلفظ منه كل ما هو من قبيل الفوضى والاختلال والتهور، وننمي فيه كل قيم الانسجام والتوافق والتوازن والفاعلية والإبداع الحضاري الخلاق.